إحسان الضرورة في زمن الدواهي والجوائح

صندوق تدبير جائحة كورونا في المغرب أنموذجًا

عثمان المودن

أستاذ اللغة العربية - باحث بسلك الدكتوراه جامعة محمد الخامس الرباط المغرب

ماجستير اقتصاد إسلامي وماجستير علوم شرعية وشهادة دولية في الصيرفة الإسلامية

من حسنات "سيئات فيروس كورونا" أنه حول إنسان اليوم من مجرد وحدة بشرية، تنتج وتستهلك وتتوالد ليرتفع بها عدد الكائنات البشرية في العالم، إلى وحدة إنسانية يزداد بها منسوب الرحمة والتماسك والخير، فتجري بين علاقات الناس بعضهم ببعض؛ ذلك أن فيروس كورونا هذه الأيام أعاد إلى الواجهة الزاد الروحي للإنسان على حساب زاده الحسي الطيني، وهذا يعني أن آثار صفات الله بدأت تحيا وتتجدد في الضمير البشري لتبرز حقيقة الإنسان التي طمسها ولوعه في زينة الحياة الدنيا وشوهتها أفكاره المادية وحاصرتها نزوات اللذة والهوى.

تنطوي هذه الحقيقة المنظورة اليوم، على حقيقة أخرى مفادها أن صفات الخير موجودة في نفس الإنسان وأن هيئات الإحسان مكنونة في داخله بالقوة أي بالفطرة، لكن تحولها إلى وجود بالفعل أي بالتجلي والسلوك في حياة الناس وانتشارها بينهم علما وعملا، يحتاج إلى اجتهاد ومجاهدة وفي أحايين كثيرة إلى ابتلاءات ومحن على غرار محنة كورونا.

في هذا السياق الفلسفي المقامي المرتبط بحال الأمة الإسلامية اليوم وما تعانيه من جراء وباء كورونا أقدم هذه الورقة، للمساهمة بجهد فكري بسيط في سبيل إحياء وتفعيل الدور الخيري المكنون في الإنسان من أجل التفاعل الإيجابي بين ما ينغرس فيه من إيمان وتقوى، وما يجب أن يتبع ذلك من تجليات ومظاهر سلوكية تمثل الدور الوظيفي والعملي لهما من خلال نظام التبرعات عموما أو ما يطلق عليه في عرف الفقهاء: **نظام الإحسان الاختياري ونظام الصدقة خصوصا**.

ماذا يعني الإحسان الاختياري؟

الإحسان في اللغة مصدر من فعل أحسن بمعنى أتقن وأجاد المفضيان إلى جلب المنفعة، وضده أساء وهو نفس المعنى في الاصطلاح إلا أن منفعته هنا على ضربين عاجلة وآجلة مرتبطة بحقوق الله من جهة وبحقوق العباد من جهة ثانية.

إن الإحسان بناء على ما سلف هو من صفات الخير المكنونة في نفس الإنسان، وحين يصبح هيأة راسخة فيه يؤدي وظيفته على أكمل وجه؛ فيأتي الإنسان بما يطلب منه شرعا في حق الله من عبادة وتقوى ويبذل المعروف لغيره من بني جنسه وباقي مخلوقات ربه والكون كله، وكل ذلك على وجه الإتقان والإخلاص فينتفع المحسن برضا الله عنه، وبالتبع ينتفع العباد ويعم الخير البلاد ويستقيم نظام الحياة في الكون وتتقوى العلاقات الاجتماعية بين الجماعات والأفراد ويتحقق للأمة المراد.

وليس يخفى أن لفظ الإحسان يتسع لأكثر من معنى ودلالة، لأنه يستغرق كل معاني الخير ومراتبه وأنواعه من حب وسخاء ومودة ووفاء، وتكافل وعطاء وكرم وصفاء، ورحمة وبر وإرفاد وغيرها من المعاني التي بها يتبوأ لفظ الإحسان أسمى مقامات العبودية وأرفع كمالات الشريعة.

قال ابن القيم الجوزية في (مدارج السالكين): "منزلة الإحسان هي لب الإيمان وروحه وكماله"؛ والإحسان شطرين: شطر في العبادة وشطر في المعاملة يقول ابن القيم في هذا المعنى في مؤلفه (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح): "مفتاح حصول الرحمة الإحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع عبيده" من هنا حظي الإحسان بأهمية قصوى في الإسلام دلت عليها آيات كثيرة؛ منها قوله تعالى في الآية الرابعة والثلاثين من سورة آل عمران: **(الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)** وأحاديث متعددة منها الحديث المشهور الذي رواه أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه لرجل سقى كلبا يلهث الثرى من العطش: **(في كل كبد رطبة أجر)** وإذا كان الإحسان مطلوبا من الإنسان إلى الحيوان فإنه من الإنسان إلى أخيه الإنسان أشد طلبا وأقوى نفعا، وهكذا جعل الإسلام الإحسان ذروة سنام نظام حياة المسلم ورأس أمر ما بعد حياته؛ فبه يغنم اقتصادا واجتماعا وسياسة وبيئة، وبه يسلم معاذا ومآلا.

واقتران الإحسان بالاختيار ونسبته إليه معناه أولا أنه إحسان تطوعي تبرعي، لا يشترط له شرط لا في وقته ولا في محله ولا في مقداره، فهو يخضع لإرادة المحسن ولدرجة تقربه من الله سبحانه؛ وتنتج عن اقتران الإحسان بالاختيار علاقة طردية، فكلما زاد الإيمان والتقرب من الله زاد الإنسان في إحسانه لاسيما في أوقات المحن والشدائد، وكلما نقص الإيمان وشرد الإنسان عن طريق ربه انتكس الإحسان؛ ثم إن اقتران الإحسان بالاختيار دليل على أن هناك إحسانا آخر ليس اختياريا، وهو الإحسان الملزم أو الإلزامي وحيث

أن موضوعنا ينحصر في إحياء الدور الوظيفي العملي للإحسان الاختياري ممثلا في نظام التبرعات كما سلف فإن ذكر الإحسان الإلزامي هنا لم يأت إلا عرضا وعلى سبيل المقابلة فقط.

لماذا الصدقة؟ وما علاقتها بالإحسان الاختياري؟

سبقت الإشارة إلى أن الإحسان شطران شطر في العلاقة مع الخالق وشطر في العلاقة مع المخلوق علما أن الثاني ينبني على الأول، ويهمنا هنا الشطر الثاني من الإحسان أي شطر المعاملة التي تستوجبها علاقة المخلوقات فيما بينها وهو الذي يروق لي أن أسميه: فعل الخير المتعدي إلى الغير؛ وإذ أن الفعل شطران قول وعمل فإن، الذي يهمنا هنا كذلك هو الشطر الثاني المتعلق بالعمل؛ وبالجمع بين الشطرين دون إنكار أو استبعاد الأولين يحضر تفاعل النفس البشرية مع الواقع بمقتضى الإيمان والتقوى فيتحقق العمل الصالح في الأرض ويتناسق بناء العلاقات الاجتماعية بين الناس على أساس سليم، وهذا هو أس نظام الإحسان الاختياري ويأتي على رأس نظام هذا الإحسان: الصدقة.

إن الحديث عن الصدقة في حقيقته حديث عن الإحسان على أوسع نطاق، وهو حديث رحب الآفاق متعدد الأبعاد، إنه حديث اقتصادي تشريعي تنموي اجتماعي؛ غير أن احترام سياق كتابة هذه الورقة يحتم التزام ما عزمت معالجته ولفت النظر إليه وهو الصدقة في بعدها الاجتماعي، باعتبارها تمثل الإحسان الاختياري في أبهى صوره، علما أن كل الأبعاد الباقية كامنة في كل الآحاد الأخرى، وإن بنسب متفاوتة.

إن الصدقة من جهة معناها الاختياري، إحسان عملي جاري غير منقطع، وتعني الإنفاق عن طيب نفس تطوعا واختيارا بلا مَنّ ولا أذى لصالح الضعفاء والمحتاجين ومنكوبي الطوارئ ابتغاء وجه الله تعالى، إنفاق يخرج صاحبه من دائرة الفردانية وحب النفس إلى رحاب استشعار الواجبات نحو المجتمع؛ وهكذا نجد أنفسنا إذن أمام نظر يستحضر رؤية الإسلام للإنسان في الكون ويدمجه في نظام صلة الإنسان بالمال والثروة وفقها وبمقتضاها، ونجد أنفسنا أمام وعي وعلم سديدين بالعقيدة والاقتصاد والاجتماع تجعلنا نستحق – أولا – مهمة الاستخلاف في الأرض ونستطيع – ثانيا – أداء أمانة عمارتها وفق إرادة المستخلف ومنهاج الرشد والحكمة المفضيان إلى التحرر من سلطان زينة الحياة الدنيا وحب شهواتها إلى سلطان الخير والعدل والإحسان.

هل للصدقة مسؤولية اجتماعية؟ وما دورها فيها؟

تعتبر الصدقة وعاء فريدا للقيم الإنسانية والأخلاق الإسلامية التي هي مفتاح تحصيل التكافل الاجتماعي وسبيل إقامة المشترك الإنساني، على أساس الرشد والحكمة في التصرف في المال والثروة ثم إن الصدقة "مؤسسة" مواطنة يترسخ فيها الوعي الاجتماعي العام، وتتجسد عبرها ثقافة البر والإحسان والعيش المشترك فكرا وممارسة؛ فينتشر النفع ويعم العطاء وتستقيم التركيبة الاجتماعية للمجتمع؛ بل إن الصدقة تتجسد فيها ثقافة الحقوق والواجبات وفريضة الإحسان، لا سيما عندما ترتفع الصدقة إلى درجة الضرورة فتدخل حيز إحسان الضرورة في حالات رصدها ووقف عندها فقهاؤنا وبينها علماؤنا؛ وهي إجمالا ترتبط بحالات إنقاذ حياة الآخرين أو التخفيف من معاناتهم وضيقهم.

ولا يشك لبيب في أن للصدقة مفهوما اجتماعيا قويا يشغل مساحة واسعة من مفهوم التكافل؛ بل إن الصدقة والتكافل إلفان متآلفان، كلما ذكر أحدهما كفى الآخر، ليصح القول بأنهما يشملان معا كل مجالات الحياة، وبالتالي فإن الصدقة والتكافل كلاهما يقوم على الإقرار بدور الفرد، إلى جنب دور الجماعة؛ ودورهما معا يدور في فلك المصلحة، فمصلحة المجتمع في مصلحة الفرد ومصلحة الفرد جزء من مصلحة المجتمع فهي إذن خاصة وعامة؛ لكن المصلحتين قد تتعارضا وفي ديننا الحنيف إذا تعارضتا قدمت العامة على الخاصة لأن صلاح أحوال الأفراد لا يُلْتَفَتُ إليه إذا كان سَيُفَوِّتُ صلاح أحوال المجتمع والأمة؛ ولأن المصلحة العامة أهم وأعظم وأبقى من المصلحة الخاصة.

قيل في القاعدة المقاصدية: إذا تعارضت مصلحتان حملت العليا منهما بتفويت الدنيا، وانطلاقا من هذا الفهم بادر عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى شراء بئر رومة وجعلها وقفا للسقيا لصالح سائر المسلمين إلى يوم القيامة، بعدما عرضها للبيع النبي صلى الله عليه وسلم حين قال في الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري في باب الشرب من كتاب المساقاة: **(من يشتري بئر رومة فيكون دلوه فيها كدلاء المسلمين)**؛ فشراء عثمان رضي الله عنه للبئر دليل قاطع على أنه قدم المصلحة العامة على مصلحته الخاصة المتمثلة في الحفاظ على ماله، ودليل على تحمل الفرد عبئا تكافليا لصالح الجماعة لأنها أولى بالبقاء؛ إن ما قدم عثمان بن عفان مظهر من المظاهر الراقية للإحسان الاختياري الذي عرف به الصحابة الأخيار والأسلاف الأطهار حيث كتب السيرة والتاريخ والنوازل مملوءة بنماذج للإحسان في صورة أوقاف وصدقات دالة على وعي مبكر عميق بضرورة ارتقاء الوحدات البشرية إلى وحدة إنسانية التي يساهم – في اعتقادي – وباء كورونا اليوم في إحيائها.

وفي سياق المسؤولية الاجتماعية للصدقة والإحسان عموما وردت نصوص كثيرة في القرآن والسنة والأثر تحث على استشعارها والعمل بمقتضاها هذه بعض منها دليلا على غيرها: – قال تعالى في سورة البقرة: **(وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين).**

– وقال جل وعلا في صورة القصص: **(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك)**.

– وقال المصطفى صلى الله عليه وسلم: **(خير الناس أنفعهم للناس)**.

– رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا عظيم البطن فأشار بإصبعه إلى البطن وقال: **(لو كان ما في هذا في غير هذا المكان لكان خيرا لك)**.

– لقي عمر رضي الله عنه في السوق – وهو خليفة لرسول الله ورئيس دولة المسلمين – جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ومعه لحم اشتراه فقال: ما هذا يا جابر؟ قال: لحم اشتهاه أهلي فاشتريته، فقال: أكلما اشتهيتم اشتريتم، أكلما اشتهيتم اشتريتم؟ أما يريد أحدكم أن يطوي بطنه لجاره وابن عمه؟ هذه نصوص صريحة في الحث على البر والإحسان والصدقة، وواضحة في التذكير بالمسؤولية الاجتماعية الملقاة على أفراد المجتمع لاسيما المحظوظين الميسورين منه حفاظا على متانة المجتمع وصموده أمام الدواهي والجوائح.

إن الإحسان بالصدقة في مثل هذه الظروف فيه نفع كثير وأثر عظيم على مستويات عديدة متنوعة يمكن استنباطها من فقه النصوص السابقة وإجمالها في الآتي:

أولا: توفير وسائل الوقاية والعلاج للدفاع عن الصحة العامة ودفع البلاء والداء عن جميع أفراد المجتمع.

ثانيا: بناء المجتمع والحفاظ على مقومات وجوده واستمراره يتم بتوفير الروابط الإيجابية بين وحداته والتي تصبحه وسطا متماسكا فاضلا تشتغل القيم العليا في ضمير كل واحد منه.

ثالثا: توجيه الرغبة الاستهلاكية والقدرة الشرائية لأن يكونا تحت سيطرة المصلحة العامة وليس تحت سيطرة الشهوة والهوى، لأن ذلك من جهة مدعاة لأن يراعي المحسن في إحسانه صلته الإنسانية بمجتمعه وأمته ولأنه من جهة ثانية رفع لدرجة الإنسانية وانتصار على الأنانية وحماية لحقوق الضعفاء.

رابعا: توطين المسؤولية الاجتماعية في المال والاقتصاد من خلال الصدقات، فهذه الأخيرة تنقل الاقتصاد إلى رؤية أخرى مغايرة لرؤى الاقتصاد المتوحش الذي يسود عالم اليوم، هدفها إرساء مبدأ العيش الجماعي المشترك على أسس الرحمة والتضامن والتكافل وابتغاء الخير للغير حماية للبناء المجتمعي من الانهيار والتصدع.

خامسا: توجيه فكر المسلم نحو حقيقة العبادة المالية ممثلة في الصدقة، فهي ليست تفضلا ولا منا خاصة عندما تتعلق بالوطن كله في ظروف كظروف (كورونا)؛ فالصدقة في أوقات الشدة والبلاء، أفضل الأعمال وأجل الصدقات؛ بل إنها تدخل في زمرة إحسان الضرورة، والصدقات المفروضة التي تربط المسلم بعقيدته على الدوام، فتصفو نفسه ويربو الإيمان في قلبه؛ ولعل صيغة الأمر التي ورد بها فعل الإحسان في الآية السابقة دليل على ذلك كما أن استحقاق الإنسان الإحسان من ربه مرهون بإحسانه إلى غيره؛ ولذلك قال الشوكاني في فتح القدير مفسرا الآية: "أي: أحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك بما أنعم به عليك من نعم الدنيا" إن ارتفاع الإحسان لدرجة الضرورة في حالات الدواهي والجوائح، يُسَوِّغُ تدخل الدولة في شخص رئيسها من أجل منع الاضطراب في الحياة المعيشية للمواطنين في وطنهم ولصد التغابن في معاملاتهم والتَّخادُع في تعايشهم بما يتوافق مع المواطنة فهما وممارسة.

وإن الحديث عن المواطنة ذو شجون، فالمواطنة صفة لعضوية انتمائية كاملة في دولة، من حيث الفهم؛ وهي شرف الإسهام والمشاركة في شؤون الجماعة والخضوع والطاعة لقوة الجماعة[1] من حيث الممارسة؛ وهكذا يظهر أن حضور الفعل الإحساني بكل أشكاله وأنواعه لدى المواطن إلى جانب الأفعال الواجبة الأخرى، يجعل للمواطنة معنى وظيفيا وسلوكا عمليا أرقى من المفهوم الفلسفي الجدالي الذي يؤشر على المواطنة بالانتماء العاطفي الأيديولوجي فقط، والذي قد يكون فيه صاحبه صادقا كما قد يكون خادعا، ما دام ذلك مجرد حالة وجدانية عابرة لا ثمرة تجنى منه لصالح الوطن والمواطنين في الواقع؛ ولا يعني هذا أنني أعيب الوجدانيات التي يحملها الفرد تجاه بلده فهذا لا يستقيم عقلا ولا طبعا، فمن حب الوطن تبدأ المواطنة؛ لكن حين تتعزز الوجدانيات بالمشاركة والمساندة والانخراط الفعلي في إشباع الحاجات الأساسية وتوفير ما تتحقق به الكرامة الإنسانية والمكانة الاعتبارية لكل مواطن داخل وطنه يجدر القول

[1] - إبراهيم درويش، علم السياسة، دار النهضة العربية القاهرة، ص: 187

حينئذ : إن هذه مواطنة كاملة صالحة مطلوبة، لأنها تجمع بين حب الوطن ونفع المواطنين، ولأنها تسعى لتوطيد ثوابت البناء بالفعل والعطاء وبحسن إدارة الأزمات والقدرة على حل المشكلات.

قال عمر بن الخطاب عام الرمادة[1] : "الحمد لله لو أن الله لم يفرجها ما تركت أهل بيت لهم سعة إلا أدخلت معهم أعدادهم من الفقراء فلم يكن اثنان يهلكان من الطعام على ما يقيم واحدا"[2]؛ الشاهد من هذا الحدث الذي ترويه قصة عام الرمادة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لمواطنته الحقيقية، ولعدله وإنصافه ولفقهه الواسع بالواقع، وفي إطار مسؤوليته الدينية والوطنية كان يعتزم فرض إنفاق الأغنياء على الفقراء والمحتاجين لتغطية حاجاتهم لولا أن فرج الله عنهم كربتهم.

إن ما سقته من أدلة نصية ومن أحداث واقعية – على قلتها – كان مصدر العديد من أوجه البر والإحسان على مر التاريخ الإسلامي في الشعوب الإسلامية ولا أبالغ إذا قلت إنه كان مصدر استلهام للشعوب الأخرى في مجال العمل الخيري الطوعي القائم على التبرع والذي يتفوق فيه الغرب في الوقت الراهن كما تدل على ذلك الإحصائيات. وتفعيلا لمقتضيات الدستور الذي ينص على ضرورة تحمل جميع المواطنين بصفة تضامنية التكاليف والأعباء الناجمة عن الآفات والكوارث المختلفة، وسيرا على نهج السلف، ووعيا بمسؤولية الإمارة واستشعارا لمهمة ضمان دوام الدولة واستمرارها بدوام الوطن ومواطنيه، بادر ملك المغرب باعتباره رئيس الدولة وأمير المؤمنين إلى إحداث صندوق خاص بتدبير جائحة كورونا مع دعوة الأشخاص الذاتيين والاعتباريين إلى التبرع في الصندوق المذكور، استحضارا لقيم التضامن والتكافل والإحسان والرحمة المغروسة في المجتمع المغربي المسلم منذ كان، بحيث إن من يفتح ملف الأوقاف – وهو أوج الصدقات وسيد الإحسان – في تاريخ الدولة المغربية يقف مذهولا أمام صور راقية للإحسان والخير، حتى إنه وجدت أوقاف لعلاج الطيور وإطعامها والرفق بالحيوانات وإيوائها[3]؛ أما أوقاف العناية بالمرضى والرعاية الصحية والاجتماعية للمحتاجين والفقراء والمصابين والمنقطعين والغرباء من الناس فحدث ولا حرج. وليس يهمني هنا الصندوق وما فيه، بقدر ما يهمني القصد منه والسبب في إحداثه، وأثر ذلك على المساهم فيه والمستفيد منه؛ فالسبب في إحداث الصندوق هو وباء مثل الأوبئة التي عانت منها البشرية في التاريخ

- هو عام وقعت فيه مجاعة شديدة في المدينة فمرض الناس وماتوا وهلكت البهيمة، كان ذلك في السنة (18.ه) زمن إمارة عمر بن الخطاب[1]
- الإمام البخاري، الأدب المفرد، الجزء الثاني، ص: 25[2]
- بيمارستان (مستشفى) سيدي فرج بفاس في القرن السابع الهجري [3]

البعيد والقريب مثل الطاعون والكوليرا والإنفلونزا وغيرها وهو كارثة مثل الكوارث التي قَضَّتْ مضاجع الشعوب قديما وحديثا، مثل المجاعات والجفاف والزلازل والفيضانات... وباستقراء تاريخ أحداث هذه الجوائح والكوارث نقف على كثير من المستنتجات أجملها في ثلاثة عناوين مركزة دالة على ثلاث حالات:

أولها: ارتجاج البنية الاجتماعية للمجتمع من خلال الانحرافات السلوكية والاضطرابات النفسية والانهيارات الأخلاقية والنفور الاجتماعي والعودة إلى الفردانية...

ثانيها: إعطاب الاقتصاد وإرباك المعيشة من خلال تراجع نسبة النمو الاقتصادي، وارتفاع معدلات الفقر بفقدان سبل الرزق، وتعثر الاستثمار، والاحتكار، وتعطيل وظائف المجتمع، واستنفاد رأس المال البشري...

ثالثها: اختلال في المنظومة الصحية من خلال الخسائر في الأرواح وانتشار العاهات المستديمة وتدهور الصحة العامة وانتشار المرض والعدوى... ولابد من القول هنا بأن أسوأ ما قد يصدر عن إنسان تجاه مجتمعه ومؤسسات وطنه لا يصدر عنه إلا وهو في حال من أحد الأحوال الثلاثة السابقة؛ إما في حال كمد وحزن وغم تعني في علم النفس الاجتماعي: **فقدان الأمن النفسي**؛ وإما في حال مرض أو عاهة تعني في علم اجتماع الصحة: **انعدام الأمن الصحي**؛ وإما في حال مخمصة وجوعة وتعني في علم الاقتصاد الاجتماعي: **فقدان الأمن المعيشي أو الاقتصادي**؛ وقد يكون في حال رابع أخطر وهو حين تطوقه الأحوال الثلاثة فيكون **فاقدا للأمن العام**، وبفقدانه يفقد الأمان الذي هو شعور ناجم عن الأمن؛ ثم بفقدانهما معا تُفْتَقَدُ الكرامة والاستقامة والمواطنة الصالحة ليتحول من فرد يلعب دوره كاملا في الحياة والمجتمع بطواعية التفاعل مع قوانين الإنتاج والتنمية مستوفيا شروط مبدأ صلاحيته ورسالته في الكون، إلى ناقم حاقد عنيف متمرد على الدولة مُتَفَلِّت من نظام المجتمع فاقد لحس الانتماء الوطني مُتَجَرِّئ على رموز الوطن، هادم لمقومات التنمية والعمران والتساكن والتعايش.

أصل الآن إلى القصد من إحداث صندوق تدبير جائحة كورونا، وأثر ذلك على المساهمين والمستفيدين لأقول: إن الصندوق يرفع تحديا كبيرا من أجل التصدي لكل المشكلات والمهلكات والعاهات لبلوغ التعافي على صعيد كل المستويات الصحية والاجتماعية والاقتصادية؛ وليس المقام هنا مقام تعداد لهذه

المشكلات ولا مقام تفصيل في إجراءات حلها؛ فهذا متروك لأهل الاختصاص وذوي الخبرة في إدارة الأزمات، ليبقى المقام هنا مُرَكِّزا على امتحان الإنسان في ماله من خلال ربط خُلُقِ الإحسان والصدقة بالصندوق، وهو مقام يروم التقاط الفكرة وأخذ العبرة سواء كنا مساهمين أو مستفيدين، واستحضار النعم والنقم شكرا وصبرا مخلصين النية لله عز وجل متعلقين بأسباب الأمل والفرج، عازمين على تجاوز آفات الخذلان والعَطَب آملين في إحراز النجاح والتفوق في الإيمان والعمل؛ وهذا كله مقرر في قوله تعالى في سورة التوبة: **(خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)**؛ فالصدقة آثارها عظيمة ونتائجها جليلة وهي لا تعد ولا تحصى سواء تعلق الأمر بالمتصدق أو بالمتصدق عليه وقد أجملت في لفظتي التطهير بمعنى التنقية حسا ومعنى والزكاء أو الزكاة بمعنى التنمية والزيادة حسا ومعنى كذلك، ليظهر لمن يتفكر ويعتبر عمق قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم: **(يا ابن آدم أن تبذل الفضل خير لك وأن تمسكه شر لك)**.

وبمثل ما بدأت هذه الورقة أختمها به قائلا: إن من حسنات كورونا أنه أظهر لنا بالحجة الدامغة أنه لن يستطيع مجتمع التغلب على آهاته ولن ينجح في تخطي أزماته إلا إذا اشترك جميع أعضائه في ابتغاء الخير واتقاء الشر، مراعاة للصالح العام؛ ذلك أن الفرد وفق هذه الرؤية لا يمكن أن ينجو وحده كما لا يمكن أن ينجح وحده، وإن معاناة مشتركة أهون كما أن نجاحا مشتركا أسعد، وصدق من قال: "ما رام قوس أخ معه قوس أخيه"، ودون هذا لا يكون المجتمع ممكنا إلا وهو مُنْذَر بهلاكه وزواله؛ وهذا الإحساس الجماعي الصادق هو أساس دولة المواطنة؛ هذا الإحساس الذي أسجل باعتزاز تفوق المغاربة فيه ملكا وشعبا، من خلال انخراطهم التطوعي للمساهمة في الصندوق بذلا وإحسانا وتصدقا وكأني بهم يقولون: إن الأرض ما وجدت لتقل بعضا دون بعض وإن السماء ما خلقت لِتُسْقِفَ بعضا دون بعض، بل إن الكون وما فيه مائدة دائمة، كل فرد له نصيبه ورزقه منه، إما بالعمل إن استطاع وإما بالإحسان من غيره إن عجز؛ وأما إن فُقِدَ الإحساس الجماعي أو انْخَذَلَ فإن المواطنة تبقى اسما لغير مسمى وهدفا في غير مرمى، إذ يتعذر تحقيقها في الواقع.

ثم اللهم عافنا من كل وباء، وارفع عنا كل بلاء، وهيئ لنا لكل داء دواء؛ اللهم أكرمنا بالصواب في القول، والإخلاص في العمل، وأقدرنا على الإحسان دون ملل، وردنا إليك الرد الجميل، فيك رجاؤنا سبحانك والأمل.